الانتروبولوجيا في الجامعة الجزائرية : تحديات الحاضر وافاق المستقبل

أ.د.محمد رمضان- المركز الجامعي عين تموشنت – الجزائر

الملخص :

إن الانتروبولوجيا باعتبارها معرفةا كاديمية، ظهرت "رقما مجهولا" في الفكر الجزائري خلال العقود الأربعة التي تلت الاستقلال، وهذا لمكانتها الهشة داخل الجامعة الجزائرية، بل وحتى لمكانتها المتواضعة داخل المؤسسات العلمية الغربية.... ومع ذلك بدأ هذا العلم يثير اهتمام المجتمع العلمي الجزائري بشكل موسع، وذلك لما يتيحه من مميزات في مجال الدراسة الميدانية وأيضا فيما يخص تكوين الشخصية العلمية... ولذلك أصبح الالحاح قويا لتجاوز هشاشة هذه المعرفة العلمية والعمل على تعزيز دعائمها في المجتمع الجزائري نحو أفاق مستقبلية واعدة .... وهذا لن يتأتى إلابإعادة بعث هذا العلم بأصول نظرية منقحة ومنهجية جديدة...

Abstract :

Anthropology, as a scholarship, unknown to the Algerian thought during the four decades that followed independence, as a consequence to its fragile position within the Algerian University, and even modest one within Western scientific institutions. However, anthropology has started to raise the Algerian scientific community attention, as it provides advantages in the area of the field study, and in terms of scientific and intellectual personal formation. As a result, it has become urgent to overcome the fragility of this scientific field and work to strengthen its foundations in the Algerian society for future prospects. This will only happen through the renewal of the scientific methodology and a new theoretical frame.

مقدمة:

إن موضوع العلوم الإنسانية في الفكر الجزائري المعاصر، يثير إشكالات نظرية وتطبيقية متنوعة، بعضها يرتبط بأسئلة المعرفة العلمية في الثقافة الجزائرية والمجتمع الجزائري، والبعض الآخر يتصل بأساليب المنهج العلمي، حيث أن البحث العلمي في الجامعة الجزائرية لا يزال في بدايته والمسار يبدو طويلا وشاقا...

إلا أن هذا الوضع لا يمنع من البحث في طبيعة المساهمات العلمية التي أثمرت في هذا المجال... ولا أبالغ إذا قلت أن مسيرة البحث العلمي القصيرة في العلوم الإنسانية بالجزائر تبغ أي باحث أنتروبولوجي إلى صياغة أسئلة محفزة على إرساء وتعزيز دعائم الأنتروبولوجيا في الفكر الجزائري المعاصر والعمل على تطوير أفاق هذا العلم بالموازاة مع باقي العلوم الإنسانية الأخرى...

إذن في ظل الثقافة المعاصرة الموسومة بالرقمنة والتطور التكنولوجي، تساؤلات عديدة تطرح عن مكانة الأنتروبولوجيا ضمن فضاءات العلوم الإنسانية؟ ما هي العوائق التي منعت الرهان الأنتروبولوجي من التطور في الجزائر بعد الاستقلال؟ هل صحيح أن الأنتروبولوجيا لا تزال سجينة ميدان علمي يخدم بإفراط "الذات" ويعزز ثقافة "الآخر"؟ (الثقافة الغربية).. ما هو الدور الذي تلعبه الأنتروبولوجيا في ترقية الدراسات الإنسانية المنجزة عن المجتمع الجزائري ومجتمعات الوطن العربي والإفريقي؟

هذه الأسئلة وربما غيرها والتي أحاول إثارتها في الورقة المقترحة من خلال البحث في قضايا تتصل بالأنتروبولوجيا في فضاء العلوم الإنسانية، تهدف إلى محاولة تتبع المسألة المعرفية التي تخص مسار هذا الحقل المعرفي القديم الجديد المتميز ... وشروط إعادة بناءه في هذا العصر المتغير المتأزم...

أولا : مسارات الانتروبولوجيا

بدأ التحليل الانتروبولوجي بالتركيز على أسئلة تعلقت بالأصل والتاريخ. ويرجع الفضل لهذا العلم، الذي أكد على وحدة النفس البشرية، كما رأي "تايلور" منذ القرن التاسع عشر في الوقت الذي كان يعتقد كثيرون أن هناك أجناسا تتأثر بالطبيعة وأخرى متأثرة بالثقافة. واستخدم "فرانز بواز" مصطلح الثقافة بوصفها مفهوما أساسيا في الانتروبولوجيا الثقافية الأمريكية مقابل مفهوم البنية الاجتماعية في الانتروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، وفي مقابل الاثنولوجيا ذات الإدراك العنصري عند "راد كليف بروان" وخصوصا فيما يتعلق التأويل المبني على العرق والبيولوجيا. وقد اعتبر "راد كايف

براون" (1881- 1935) مفهوم الوظيفةالأداة الأساسية للإجابة عن مفهوم "البنية" وأبعادها المتداخلة والمتشابكة، كما عمل "ليفي ستروس" على تطوير هذا المفهوم... وقامت المدرسة الألمانية بالاهتمام باللغات المحلية من خلال تعلم لغات الشعوب غير الأروبية ونشر دراسات فيولوجية ونصوصية لثقافات تلك الشعوب[1].

لقد تطورت الانتروبولوجيا بالاستفادة من العلوم الاجتماعية الأخرى وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس، وأخذت كثيرا من المدرسة الماركسية لتطوير اهتمامها بالاقتصاد السياسي بدل الاقتصار على دراسة الثقافة. ولعل التوجه الجديد الذي يميز مسار تطور الانتروبولوجيا، يتمثل في انخراط الباحثين الانتروبولوجيين المعاصرين في عملية "أخلقة البحث الانتروبولوجي"، والولوج إلى هذا الحقل المعرفي وقناعتهم راسخة بأن هذا العلم يتمتع بالاستقلالية، وفي نفس الوقت يرتبط ارتباطا عضويا بتطور الحقول المعرفية الأخرى.

في هذا الإطار يمكن تلخيص وضع الانتروبولوجيا الراهن في اتجاهين :

الأول: أن هذه المعرفة تحمل مع اتجاهاتها النظرية، وأهميتها العملية، تصورات وأفكار وأحكام واضعيها، وأن هذه المعرفة منذ أن نشطت حركة الدراسات الميدانية في المجتمعات "الأخرى" غير الغربية كانت ترافقها مظاهر الشك والريبة والخوف من فقدان الهوية، وهذا يعني أن الحصول على المعرفة الانتروبولوجية مباشرة من المجتمعات المدروسة، عملية من شأنها أن تؤثر تأثيرا سلبيا وقويا في الثقافة الأصلية.

الثاني: أن النظريات الانتروبولوجية وضعت عندما تأزمت الثقافة الغربية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبدلا من وضع الأسس القوية والصحيحة لتجاوز هذا الوضع واصلاحه، تم توجيه الرأي الغربي نحو المجتمعات الأخرى (خاصة الإفريقية والعربية) بتكريس التصورات النمطية وإقرار نتائج دراسات أنتروبولوجية عمل أصحابها على تبخيس ثقافة شعوب تلك المجتمعات.

وقد طرحت هذه الإشكالية على بساط البحث من قبل كثير من الباحثين الانتروبولوجيين في الوطن العربي، وكانت النتيجة ظهور فريقين :

أحدهما ينادي بأنتروبولوجية عربية قومية لم تحدد ملامحها بعد ... ولم يلتفت أنصار هذا الاتجاه إلى المشكلة الأساسية، وهي التأخر في مراجعة الدراسات الانتروبولوجية الغربية حول المجتمعات العربية والإسلامية ونقدها نقدا موضوعيا، وركزوا فقط على الدراسات الانتروبولوجية المتشبعة بالإيديولوجيات والفلسفات المتعددة، المبتوتة داخل الاتجاهات النظرية والميدانية التي تعكس العقائد والإيديولوجيات المتحيزة والأفكار المسبقة... وهذا النوع من الدراسات لا يصلح لفهم المجتمعات العربية والإسلامية وكذلك ثقافات ومشكلات شعوبها...

وثانيهما ينادي بأنتروبولوجيا إسلامية (علم الإنسان الإسلامي) وهو اتجاه لا يخلو من ملاحظات "العالم المتخصص"[2]... وهذا الاتجاه وإن كان وثيق الصلة بثقافة وهوية المجتمعات العربية الإسلامية، ولابد من تظافر الجهود للحكامة في العناية به وترشيده، يجب أن لا يكون على حساب المعرفة الانتروبولوجية الموضوعية. أن حماية المعرفة الانتروبولوجية للقرن الحادي والعشرين تتطلب حماية الانتروبولوجيين المعاصرين من الوقوع في حبال أولئك الذين يرفضون هذا العلم لأسباب تاريخية، بل وحمايتهم من الوقوع في قبضة الانتروبولوجية التقليدية المتحيزة فيصبحون هم كذلك عنصريين يحملون الحقد والكراهية لـ"الآخر".

ثانيا : لماذا تأخر المشروع الانتروبولوجي في الجزائر ؟

يجب الاعتراف بأن معالجة هذه الإشكالية تتعدى حدود الباحث الواحد والبحث الواحد، لذلك فإن الجهد سيوجه نحو الكشف عن بعض العوامل المؤثرة في تعطيل إرساء دعائم المعرفة الانتروبولوجية بالجامعة الجزائرية، ويمكن الإشارة إلى :

أ- انتشار فكرة الانتروبولوجيا "علم الاستعمار " :

شكلت هذه الفكرة عائقا في إرساء دعائم الانتروبولوجيا في الجزائر غداة استقلالها...

والواقع أن هناك العديد من الدراسات الانتروبولوجية الغربية التي جاءت مثقلة بالنزعة العنصرية والأهداف الاستعمارية بل أن جل الانتروبولوجيين الغربيين الأوائل، الذين باشروا فيدراسة المجتمعات العربية الإسلامية والإفريقية، كان يحركهم هاجس :

– أن الثقافة الغربية هي المرجعية الأساسية في فهم "الآخر" وأن تاريخ البشرية ما هو إلا امتداد لتاريخ أوربا، وقد أصر البعض على عدم ذكر أي تاريخ آخر إلا بقدر ما يحمله من أثر مباشر على مصير الإنسان الغربي[3].

– دعم المشروع الاستعماري في المجتمعات العربية الإسلامية والإفريقية، وقد قيل أن الغرب أنيطت به مهمة حضارية: سماها الانجليز مهمة الرجل الأبيض والفرنسيون مهمة تغيير المجتمعات المتخلفة.

في هذا الإطار يمكن الإشارة إلى :

1- الدراسات المرتبطة بنظرية المجتمعات ذات النمط الانقسامي، ومنها :

أفكار "كون" التي أوردها في كتابه "القافلة" وتفيد: أن العالم العربي عبارة عن تجمعات سكنية جامدة، منفصلة عن بعضها البعض، لا تشكل فيما بينها هوية مشتركة على مستوى الأمة والوطن... وأن المجتمعات العربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ما هي إلا مذاهب وطوائف وأقوام تتعدد فيها اللهجات والمسالك الثقافية[4] وكل أشكال العنف والعصبية نتيجة تأثير العوامل الجغرافية والسياسية[5] وأن السلطة السياسية تمارس عن طريق العلاقة الزبونية والولاء والعصبية، أما المرأة فهي غائبة عن الحياة العامة، دورها يكمن في الإنجاب فقط، وحياتها الخاصة مرهونة للسيطرة المطلقة للرجال بحجة صيانة شرفها وشرف الأسرة[6].

2- الدراسات الانتروبولوجية النفسية التي تناولت بالتشخيص والتحليل "شخصية الآخر": وهي الدراسات التي تظهر فيها النزعة العرقية أكثر من ظهورها في أي حقل معرفي آخر. ففي مؤتمر أطباء الأمراض العقلية المنعقد في "بروكسل" عام 1935 عرض "بورد" دراسة تضمنت توصيف سلوك السكان الأصليين في شمال إفريقيا بالسلوك البدائي، وفي وقت لاحق طور "بورد" وتلميذه "سوتر" (كان يشتغل منصب أستاذ الطب العقلي في

جامعة الجزائر) هذه الفكرة، ونشرا درسات عام 1939 تفيد بأن : السلوك البدائي لدى الإنسان الإفريقي لا يرد إلى عامل الجغرافيا أو التربية، وإنما إلى العامل العضوي، الذي يكمن في بنية المراكز الدماغية أو تنظيمها الطبقي... وأن القتل الذي يرتكبه الجزائري يرجع سببه إلى فقدان اللحاء الدماغي، أو سيطرة للدماغ المتوسط... ووفق هذا التركيب النمطي تتشكل أنماط السلوك لدى للإنسان الإفريقي، وبحسب رأيهما فإنها تتشابه مع أنماط سلوك الحيوانات الفقرية الدنيا[7].

3- الدراسة الانتروبولوجية حول الاقتصاد :

بين "ماركس" في مقالات صحافية له عن الجزائر والهند ضرورة تحطيم بنية هذه المجتمعات تمهيدا لدمجها في مسيرةالتطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية ومن تم يصبح في إمكانها المرور بالمراحل التاريخية المختلفة من إقطاع ورأسمالية وإشتراكية وغيرها[8]. وقد أكد على هذا التصور "روسو" صاحب نظرية التغير الاقتصادي، جاعلا من عملية تحطيم النظم الاقتصادية التقليدية والمعتقدات الشعبية المرافقة لها، العامل الأساسي في حدوث التغير والانطلاق نحو الحداثة.[9] هده الإستراتيجية أشار إليها الباحث السياسي الأمريكي "رونالد. ز. شيلكون" في كتابه "نظريات السياسة المقارنة" الصادر عام 1981حيث قال: "إن دارسي التنمية السياسة الأمريكيين والأوربيين تحركهم بصفة عامة رؤية إيديولوجية أساسها إبراز تفوق القيم والمؤسسات الغربية وتجميد الخيارات والبدائل الأخرى التي يمكن أن تختارها الدول النامية، وخلق القناعة في نفوس قادة وشعوب هذه الدول، أن هناك طريق واحد ووحيد للتقدم هو الطريق الرأسمالي الليبرالي الغربي".

4- ظهرت دراسات أنتروبولوجية غربية حول التخلف في المجتمعات العربية والإفريقية، وسعى أصحابها لتبرير الاستعمار ومنها على سبيل المثال :

- دراسة "ليفي بروهل" بعنوان "الذهنية البدائية" التي تؤكد على انتشار السحر والشعوذة في المجتمعات العربية والإسلامية وميل أفرادها إلى تمجيد

الأسلاف والإيمان بالغيب والأرواح والعفاريت وعدم قدرتهم على التفكير السليم والمنطقي[10].

- الدراسات التي تصف طقوس وممارسات الطرق الصوفية، وكذلك أضرحة الأولياء ومواسيم الاحتفالية المثقلة بالخرافات والمعتقدات الشعبية[11].

خلاصة القول أن العديد من الدراسات الغربية، خاصة في المراحل الأولى من نشأة الانتروبولوجيا، لم توجد لتراعي خصوصيات وواقع المجتمعات غير الغربية ولا حتى نظمها الثقافية والاجتماعية والتاريخية، وبالتالي كانت بعيدة كل البعد عن المعرفة العلمية ولم ترتق إلى مصاف الدراسات الكفيلة بالتنظير والتطبيق، فقد جاءت كمحاولات لتثيب وضع أوجدته الظاهرة الاستعمارية، والدليل على ذلك اتجاه الانتروبولوجيا في نشأتها المبكرة بالاهتمام بدراسة المجتمعات التي قيل عنها بدائية وكذلك التداعيات غير المحمودة للنظرية التطورية والمتمثلة في ظهورأفكار عنصرية واٍثنية خلال نهاية القرن التاسع عشر، وقد تأثرت علوم عديدة بهذه الأفكار، فنشأت تصورات جديدة في جميع المجالات العلمية : البيولوجيا وعلم النفس والعلوم الاجتماعية والموسيقى والانتروبولوجيا والفن.

ب- هشاشة الانتروبولوجيا :

على الرغم مما تثيره الانتروبولوجيا من اهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وذلك لما يوفره البحث الانتروبولوجي الميداني في هذا المجال من فرص لدراسة "للآخر"، إلا أن العديد من هؤلاء الباحثين غير مقتنعين بنتائج أعمالهم ويشعرون بنوع من الاحباط نتيجة التفكك الذي يحصل بين ما هو مدروس أي الموضوع أو ما يعرف في الانتروبولوجيا بـ "الآخر" والباحث الذي يدرسه أي "الذات".

ولذلك فإن ممارسة الانتروبلوجيا تمتد جذورها في الاخفاق لإظهار "الذات" وفتحها على مواجهة "الآخر" وهذا ما يفسر الاعتقاد السائد لدى الباحثين بأن البحث الانتروبولوجي مغامرة ومجازفة خطيرة... ومن هنا يظل التساؤل مطروحا حول أبعاد انفتاح

الانتروبولوجيا على "الآخر" ما دامت تظل سجينة ميدان علمي يخدم "الذات" ويعزز دور مؤسسات غربية معينة ؟[12].

أشار الباحثون إلى الصدمة التي حلت بالانتروبولوجيا نتيجة وضعها البائس والهش... وضع ترعرع في أحضان المسار الاجتماعي والتاريخي الذي تشكلت من خلاله هذه المعرفة العلمية... ولقد انتقدت الانتروبولوجيا لحد الآن بسبب فشلها لتجاوز هذا الوضع ولو على "المستوى الابستمولوجي"[13]، ويبدو أن الأبعاد السياسية قد أثرت تأثيرا قويا على الواقع الانتروبولوجي.

ولتوضيح الطابع الهش للانتروبولوجيا حاولت فهم تطور الأدوات المفاهمية الأساسية لهذا الحقل المعرفي، واهتديت إلى العديد من الملاحظات البعض منها يتعلق بالأساس البنائي للأنتروبولوجيا، والبعض الآخر بالمنهج أو الطريقة التي تعمل بها الأنتروبولوجيا في الميدان، وسأكتفي بعرض عاملين من العوامل المرتبطة بالأساس البنائي للأنتروبولوجيا، ويمكن الإشارة إلى:

1. نتائج الدراسات الانتروبولوجية الغربية حول العالم العربي ومدى تأثيرها على الاتجاهات النظرية :

الواقع أن الدراسات الانتروبولوجية حول العالم العربي والإسلامي تمتد جذورها إلى تاريخ طويل في الغرب، ومن ثم فمن المفروض أن تكون نتائج هذه الدراسات تصب في عمق المرجعية العلمية التي تعكس التطور المعرفي الذي وصلت إليه الحضارة الغربية. ولكن الواقع عكس ما يمكن تصوره، فإذا ما قمنا بمراجعة الدراسات التقليدية حول المجتمعات العربية والإفريقية المسلمة مثلا فإن القارئ يندهش لنتائجها النظرية وما استرعته من اهتمام، كون أن السلطة الاستعمارية كان لها دور مميز في دعم الدراسات الميدانية (دراسة إيفانز برتشارد Evans – Prichard للنوير في السودان والسنوسية في ليبيا) وفي توجيهها (فقد تفنن الباحثيون الفرنسيون في استخدام الرموز والأساطير والقصص وكافة الفنون الشعبية للتغلغل في الثقافة النفسية للمجتمعات المغاربية والهيمنة عليها...).

والأكيد أن الدرسات الانتروبولوجية الغربية للمجتمعات العربية والإفريقية لم تسترع اهتمام العديد من الانتروبولوجين، فقد تبين من نتائج التقويم النقدي الذي قام به كل من "روبرت فرنيا" و"جيمس مالاركي" للدراسات الانتروبوجية التي أجريت على الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أن هذه الدراسات لم يكن لها تأثيرا واضحا على الاتجاهات النظرية في الانتروبولوجيا ولم تنجح في إقامة جسر للتواصل البناء بين الباحثين من مختلف التخصصات المهتمين بدراسة المنطقة العربية والإفريقية وذلك لأسباب بنائية أهمها :

– التكوين النظري والمنهجي يفتقده معظم الباحثين، وبالتالي فهم غير مؤهلين للقيام بدراسات ميدانية.

– العامل التاريخي الذي يقف حاجزا ويحول دون فهم العالم العربي والإفريقي في عمقه الحضاري ومن دون تحيز، وعرض الباحثان الانزلاقات التي حدثت في توصيف المجتمعات العربية المسلمة بسبب المناهج الغربية من وظيفية وماركسية وغيرها[14].

– القصور والهامشية من داخل الانتروبولوجيا ذاتها، والدليل على ذلك الاهتمامات العلمية للانتروبولوجيين التي تنحو نحو دراسات تقليدية تناولت القرى ونظمها المحلية والمعتقدات والطقوس التي يمارسها الأفراد في هذه المجتمعات، ويقول "ريشارد أنتون" في هذا الصدد أن ما نشروه هؤلاء الباحثين لم يثر فاعلية زملائهم في الحقل، وأن المجالات التي ينشرون فيها أبحاثهم لم تكن متخصصة في الدراسات الانتروبولوجية[15].

– إن غالبية الدراسات الانتروبولوجية الغربية لا يمكن أن تقوم تقويما علميا، فهي من وجهة نظر "اكبر احمد" لا تفتقر إلى المستوى العلمي الرفيع فحسب، وإنما تتميز أيضا بكونها متحيزة تطغى عليها التصورات المسبقة والعداء للمجتمعات العربية والمسلمة[16].

– التشابه الذي يوجد بين هذه الدراسات الأنتروبولوجية الغربية حول الموضوعات التي تمت معالجتها ليس فقط فيما يتعلق بالنتائج إنما أيضا فيما يفيد :

- البناء المفاهمي : جميع الباحثين يعتمدون على المفاهيم التي خلفها الرواد أمثال "دور كايم" و"فيبر" و"مالنوفيسكي" وغيرهم ويعتبرونها المرجعية المعرفية لكل مساهمة أنتروبولوجية.

- منهج القراءة والتأويل : وهذا ما يؤكده أعمال "أدوارد فسترماك" و"إدمون دوتي" و"إدوارد مونتي" وألفريد بيل" و"جاك بيرك" وغيرهم حول موضوع المعتقدات والممارسات الدينية بالمجتمعات المغاربية، حيث استخدم هؤلاء الباحثين نفس النسق التأويلي في قراءة وفهم مغزى الظواهر المدروسة واعتمدوا على نفس المنهج القائم على الملاحظة المباشرة في تجميع وتصنيف المعطيات الاتنوجرافية[17].

- الخطاب الإيديولوجي حيث نجد مثلا العديد من الدراسات الانتروبولوجية الغربية (باستثناء مساهمات قليلة) قد انطلقت من خلفيات عنصرية مسبقة.

2. الاستيلاب الايدولوجي للأنتروبولوجيا

ينصرف معنى "الايدولوجيا" في هذا الموضوع إلى المضمون الجزئي، والذي يعني بشكل عام الخطاب السياسي المباشر المعبر عن توجهات أو رؤى أو ممارسات تخص جماعة معينة (تنظيم سياسي، أفراد) تجمع بين أعضاءها أهداف ومصالح مشتركة[18].

إن هذا المفهوم يدفع إلى التساؤل عن طبيعة العلاقة التي ربطت الأنتروبولوجيا بالسلطة السياسية (سواء في المجتمعات الغربية أو المجتمعات النامية...).

الواقع أن الاستلاب الإيديولوجي انصب على الانتروبولوجيا أكثر مما انصب على أي علم آخر، والسبب يرجع إلى :

- أن الانتوبولوجيا هي العلم الأشد تجدرا في الثقافة الإنسانية، والأشد فعالية وتحريكا للتنمية الإنسانية... وهي كما يقول الأستاذ والمفكر الجزائري محمد أركون: "العلم الوحيد الذي يعطينا المفاتيح اللازمة والمناسبة لاكتشاف الثقافات الأخرى والمذاهب المختلفة والاهتمام بها من دون النظر إلى تلك الثقافات والمذاهب نظرة متعالية ومليئة بالازدراء).

● الاستعمار، حيث منذ أن تحركت آلة الظاهرة الاستعمارية، استولى هذا الاستلاب على الانتروبولوجيا... ولو لم تكن الانتروبولوجيا علم متجدر في الحضارة الإنسانية، لما تكالب عليها هذا الاستلاب الايديولوجي، وما كانت النخبة في الدول النامية أن تضلل بأوهام فكرة الأنتروبولوجيا "علم الاستعمار"، ويستلب وعيها طيلة العقود التي سبقت القرن الواحد والعشرين... فأولئك الذين يسيطرون على مركز القرار في المجتمعات النامية، نجدهم يرددون شعارات وهمية متحيزة بالية جاوزها الزمن) ويحاولون عبثا استخدام ما يعرف ب "الاستقواء الفكري" وتوظيفه إيديولوجيا في مجال الانتروبولوجيا، مع أنهم يجهلون أدنى الأسس الكفيلة بممارسة هذا العلم، بل نجدهم يتطاولون للحديث عن السوسيولوجيا والأثنولوجيا وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية (كالقول مثلا بأن هذه العلوم غير منتجة) ويتكلمون عن هذه العلوم كلام القوم التبّع ليقولوا في الأنتروبولوجيا ما لم يقله العارفون بهذا العلم.

● إن الأنتروبولوجيا هي العلم الوحيد الذي يتعارض مع المسار الاجتماعي والتاريخي الذي تشكل من خلاله... العلم الذي يقف ضد المواقف الإيديولوجية المسيسة للنخبة وضد الممارسات الاستعمارية والتفرقة العنصرية... العلم الذي يكشف الرهانات السياسية والممارسات الخفية في الثقافة المجتمعية من دون القصد بالتشهير أو كشف العورات... العلم الذي يدعوا إلى التضامن والتربية والأمن والسلام وتأكيد إنسانيةالإنسان في كل الثقافات ... ولهذه الأسباب تم إهمال الأنتروبولوجيا لأنها حسب نظرا المفكر الجزائري محمد أركون: "خطيرة بالنسبة للخطاب الأيديولوجي والرسمي... فهي معرفة نظرية وعلمية تستنطق ما تم إحالته على الصمت لاعتبارات تاريخية وسياسية... وهي أيضا آلة في الكشف عما حجبته الخطب الأيديولوجية مثل إقصاء الأقليات العرقية والسياسية... ولذلك كانت الأنتروبولوجيا آخر معرفة اهتمت بها الجامعات تحت الأنظمة الشيوعية السوفيتية أو النازية الألمانية...فهي معرفة تزعج بخطابها النقدي القائم على الاعتراف بالحق في الاختلاف وعلى إعادة الكلمة المحاصرة أو المقوضة إلى من تم نسيانه أو إقصاؤه [19].

وخلاصة القول أن المشروع الأنتروبولوجي تم تعطيله خلال العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال لأن الفكر النخبوي المؤطر للمجتمع الجزائري، كان مسيسا. فلم تكن الظروف سانحة لإرساء قواعد صلبة للأنتروبولوجيا في الجامعة الجزائرية لتدلوا بدلوها في فهم الإنسان الجزائري، واستمرت العلوم تستهلك المتقادم من النظريات والمنهجيات المستوردة نتيجة بيروقراطية علمية. وهكذا بقيت إلى حد اليوم كل الجهود المبذولة هنا وهناك نوعا من الأرشيف المتراكم من دون وجود الطريقة المثلى للاستفادة الفعلية من الخبرات العلمية الهادفة التي اكتسبتها المؤسسات العلمية الجامعية في الجزائر.

إذن ما هي الشروط العلمية الكفيلة بإعادة بناء المشروع الأنتروبولوجي في الجزائر؟ هذا ما نحاول توضيحه في التالي.

ثالثا: مقومات إعادة بناء المشروع الأنتروبولوجي في الجزائر؟

تبرز الأشواط التي قطعتها بعض المؤسسات الجامعية (قسم الثقافة الشعبية بتلمسان، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية وهران، مركز دراسات ما قبل التاريخ الأنتروبلوجيا بالعاصمة) الجهد المحمود في هندسة بناء الرهان الأنتروبولوجي بالجزائر.

فلم تعد الأنتروبولوجيا اليوم تخشى المسار الاجتماعي الذي تشكلت من خلاله ولا طابعها الهش ولا حتى التحيز الذي طبع الدراسات الأنتروبولوجية الغربية... فهذه المسائل باتت من الماضي ولا يتمسك بها إلا أولئك الذين لا يدركون أبعاد المتغيرات المعرفية والثقافية والاقتصادية التي تحدث في ظل العولمة.

إذن المشكلة اليوم هي بالأحرى من داخل التوجهات العامة للمعرفة في إطار منظومة التكوين وناجمة عن إدماج الأنتروبولوجيا في جدلية بناء المستقبل المعرفي بكل أبعاده في الجزائر، وذلك أمر على جانب كبير من الأهمية حيث أن الأنتروبولوجيا تثير اليوم تساؤلات عميقة ما فتئت تشغل بال الانتروبولوجيين وغالبا ما تكون فيما يتجاوز الانتروبولوجيا بحد ذاتها...

ثلاث اقتراحات نخالها مفاتيح لتنمية هذه المعرفة العالمية بالجزائر وهي :

أ- توطين الانتروبولوجيا :

ينبغي أن لا تفهم فكرة توطين الانتروبلوجياعلى أنها دعوة إلى إرساء قواعد معرفة علمية تحمل سمة أو علامة جزائرية خالصة، ذلك ضرب من ضروب الخيال. والهدف ليس الاستعاضة عن أنتروبولوجيا غربية حتى وإن كانت متحيزة بأنتروبولوجيا قد تحمل أيضا سمات "الأفكار الإثنية"، الأمر الذي يجعل من يمارسون هذا النوع من الأنتروبولوجيا يتموقعون في نفس الخندق الذي اختاره الغربيون من أصحاب المفاهيم والأطروحات الضيقة.

ما تصبوا إليه هذه الفكرة هو أن الانتروبولوجيا شأنها شأن العلوم الاجتماعية وكافة أنواع المعرفة الأخرى، بطبيعتها اجتماعية وتاريخية... وأن الانتروبولوجيا في الجزائر ينبغي أن تربطها صلة بالوقائع التاريخية والثقافية لهذا المجتمع وهذا لن يتأتى إلا بـ :

– الاعتماد على التراث الثقافي العربي الأمازيغي للشعب الجزائري : التراث النقي الخالص من الشوائب والشرور التي تسربت إلى المنظومة الفكرية الجزائرية، خاصة وأن الشعب الجزائري ورث عن عهود الإقطاع أنماطا سلوكية هدامة مثل : الأنانية وحب السيطرة والترعة الفردية (نزعة التملك) والإسراع إلى استغلال النتائج من دون المساهمة في العمل، ويضاف إلى هذه الممارسات أنماط سلوكية أخرى ورثها عن الاستعمار وأدت إلى انشطار في النسيج الاجتماعي، مثل : الانقسام إلى اتجاهات، بيروقراطية إدارية طبقات رأسمالية جديدة[20] نشأت من الانفتاح الاقتصادي ومن الأزمة التي حلت بالشعب الجزائري خلال العقد الأخير من القرن العشرين، ويبدو إن هده الطبقة غارقة في ما حصلت عليه من محيط الفوضى والغفلة.

– العمل على إرساء قواعد معرفية متحررة من التبعية الثقافية ومن مركزية المفاهيم والنزعات الضيقة حفاظا على الهوية والتميز باعتبارهما شرط ولوج حضارة القرن الواحد والعشرون.

–إبداع أنتروبولوجي ينطلق باستثمار الثقافة المحلية ذات الأبعاد الإنسانية الحضارية... وهذا الإبداع يعتبر شرطا جوهريا لتوطين الأنتروبولوجيا معرفيا، أي

تحويل الأنتروبولوجيا من منطلقاتها الإثنية الغربية إلى أنتروبولوجيا قائمة على التواصل والتفاعل والاستمرارية إنتاجا وإبداعا.

وسواء كان التوطين يشير إلى إضفاء الصبغة المحلية على الأنتروبولوجيا أو الإبداع الأثروبولوجي انطلاقا من الثقافة الإنسانية، أو التحرر من التبعية اللاستعمارية... إلخ، فإن هذه الفكرة تفيد وبشكل جوهري خطابا بديلا يرمي إلى ممارسة تقاليد مغايرة عن تلك التي كانت تمارسها الثقافة الغربية... على أن هذا الخطاب البديل وحتى يتسم بالجدية والفاعلية يجب أن يؤسس على :

- استثمار المنجزات العلمية التي تحققت في الثقافة الغربية : أن حل إشكالية هيمنة الانتروبولوجيا الغربية على المجتمع الجزائري وكل المجتمعات العربية والمسلمة، لا يكمن في الرفض الكلي لهذه الأنتروبولوجيا والدراسات التي أنجزت في إطارها، بل باعتماد إجراءات منهجية بناءه تقوم على التنقيب العميق للواقعية التي تتميز بها الانتروبولوجيا الغربية كونها معرفة علمية تعكس سياقات ثقافية، تاريخية، وحضارة لها خصوصياتها الإنسانية.

- ضرورة المحافظة على الطبيعة العالمية لأصول البحث العلمي والتحلي بالاقتدار العلمي في اختيار الآليات الكفيلة بتعزيز البدائل النقدية لتصبح جزءا من المعرفة الانتروبولوجية...وهو الأمل الذي يحدو من عملية تطوير المنهج في النقد الانتروبولوجي والعمل على تعزيز أصالته.

ب- تأصيل المنهج في نقد الدراسات الانتروبولوجية :

انتقدت الانتروبولوجيا ليس فقط بسبب البحث عن الموضوع المجرد والبحث الذاتي عن الملموس ولكن بالأساس للمقاربات المعتمدة والتي تفصل الانتروبولوجيا عن الواقع والممارسة الفعلية لـ"الآخر".

فلقد أبدى العديد من الباحثين رفضهم للطريقة التي تعمل بها الانتروبولوجيا في الميدان... كونها طريقة لا تنجح في التعبير عن الواقع ولا عن الظروف التي تؤطر التواصل

والتفاعل بين "الذات" و"الآخر" مما يفضي إلى انتاج نص أنتروبولوجي "مغترب" نتائجه غامضة، متذبذبة وغير هادفة... وهذا النوع من النصوص الانتروبولوجية مصيره الفشل ومن تم الرفض المطلق[21].

– إذن هل الطريقة التي تعمل بها الانتروبلوجيا في الميدان وتفضي إلى حالة من اليأس، قدر محتوم على هذه المعرفة العلمية؟.

– ما العمل الذي يجب القيام به لتجاوز هذه الحالة ورد الاعتبار للبحث الانتروبولوجي الذي يصفه "كيرتز" بالهامش، وبقائه خارج الإطار؟ (إطار ما هو مدروس وبالمفهوم الانتروبولوجي "الآخر").

لتحدي مثل هذه النتائج على الانتروبولوجيا مراجعة منهجيتها والطرق التي تعمل بها في الميدان... وبذكر المراجعة تبدو الأهمية البالغة التي تكتسيها المناهج في الدراسات النقدية المعاصرة، لا باعتبارها مفتاح التحكم في كل بحث وأساس نجاح كل دراسة، وإنما لكونها بالإضافة إلى ذلك الأداة التي تسمح باستنطاق القضايا الجوهرية وفهم حقيقة ما يجري في الواقع[22]، حيث أن القدرة الحقيقية للباحث على الإبداع تكمن في قدرته على إعادة إنتاج الأفكار التي تراكمت لديه عبر التاريخ، ومن دون المناهج السليمة تبقى المعطيات خرساء تستنطق ولا تجيب[23].

والحديث عن تأصيل المنهج في نقد التراث الانتروبولوجي يستلزم التنويه بما تحقق في ميدان اللسانيات والنقد الأدبي وأثر ذلك على الفكر الانتروبولوجي المعاصر، حيث ظهرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة حركة علمية واسعة، استهدفت إبراز التطورات النظرية الانتروبولوجية وركزت بشكل خاص على المراجعة النقدية للانتروبولوجيا التقليدية، في محاولة لضبط أبعادها النظرية وتحديد شروط الاستفادة منها وخلصت إلى أن النص الانتروبولوجي يتأثر بأساليب السرد المستخدمة في تقديم الواقع الاجتماعي المدروس وأن الاهتمام بهذه الأساليب هو مفتاح النقد الجديد في الدراسات الانتروبولوجية[24].

ومن أبرز المساهمات التي تناولت "النقد الجذري" للتراث الانتروبولوجي انطلاقا من نتائج الدراسات النقدية والألسنية الحديثة، ما قدمه "كليفورد غيرتس" في كتابه (أعمال وصلوات: عالم الانتروبولوجيا) حيث يتعرض فيه لأعمال "ليفي ستروس" و"إفانز برتشاد" و"مالينوفسكي" و"بنديكيت" موضحا أن النصوص الانتروبولوجية التي قدمها هؤلاء تمثل في واقع الأمر أنواعا من العرض السردي التي تعكس سيرهم واتجاهاتهم الخاصة وليس وصفا دقيقا لواقع المجتمعات المدروسة، ويمثل ما قدمه "جيمس كليفورد" و"جورج ماركوس" في مؤلفهما "كتابة الثقافة : أدبية النص الإثنوجرافي وسياسته" أحد أهم الصور الحية للنقاش النظري والمنهجي الدائر اليوم بين علماء الانثروبولجيا... نقاش تنعكس نتائجه، ليس فقط على الطريقة التي يجب أن تدرس بها المجتمعات وإنما أيضا على نوعية القضايا التي تدرس الأنتروبولوجيا والأسئلة التي تطرح بشأنها وغير ذلك من المسائل الجوهرية التي تفرض التحكم فيها ميدانيا، حتى يمكن التوصل إلى تقديم نص انتروبولوجي في شكله النهائي[25].

إن نقد النص الانتروبولوجي الغربي إنما يمثل مراجعة هامة وتقويم هادف لهذا النص من جهة ومحاولة تأصيل منهج نقدي في هذا الحقل المعرفي، ومن تم تقديم نص أنتروبولوجي بديل يتماشى وروح العصر ويراعي عنصر المستقبل وأحداثه ومتغيراته. ولعل هذا ما جعل المفكر الجزائري الأستاذ محمد أركون يؤكد على ضرورة تقوية الوظيفة النقدية للعلوم الاجتماعية وإعطائها مصداقية أكبر من خلال تطبيقها مبرزا أن المنهج في النقد الانتروبولوجي يعمل على فتح ورشات جديدة للتحليل والتفسير.

ولما كان التراث الانتروبولوجي الجزائري يفتقد في هذا المجال إلى زاد معرفي حقيقي يمكن أن يشكل أرضية صلبة لممارسة عمل نقدي مبدع كما هو عليه الحال في الدراسات الأدبية واللسانية فالمأمول:

– تفعيل أنشطة عملية ترتكز أساسا على مراجعة النقد الأدبي من حيث مضامينه العلمية المتخصصة، ومحاولة توظيف أصوله في تأصيل منهج النقد للخطاب الانتروبولوجي.

– الاستفادة من أصول النقد الأوروبي واستخدام نظرياته ومفاهيمه كأدوات إجرائية لمقاربة النصوص الانتروبولوجية المحلية: والاستفادة من الخبرات والتجارب المعرفية للأمم الأخرى عمل مشروع، في محاولة لسد الفراغ المعرفي الذي يستشعر في بعض الميادين العلمية، ومن بينها طبعاالنقد الانتروبولوجي، بالإضافة إلى أن المناهج العلمية ملك مشاع وانجاز للإنسانية جمعاء، ولعل من لم يسهم في تشكيلها هو بأشد الحاجة إليها ممن توفرت لديه عوامل بلورتها وإنتاجها[26].

– الإسراع في ترجمة الاتجاهات والمذاهب النقدية وقراءتها في سياق واقعنا التاريخي والثقافي، تقول "يمني العيد": ما معنى أن نستعير المناهج ونتحدث عن الاتجاهات والمذاهب النقدية طالما نحن عاجزون عن تعريبها، أي عن قراءتها في سياق مشكلاتنا الثقافية والتاريخية الراهنة... والتعريب ليس الترجمة الحرفية للنصوص[27]... وعليه فإن هذا الخيار يستوجب بالضرورة تفعيل وتعزيز الشراكة للحوار المعرفي بين المؤسسات الجامعية والمخابر – في الداخل والخارج... والتخطيط لمشاريع بحثية متكاملة يشارك فيها باحثون متعددوا الاختصاصات في العلوم الإنسالنية والاجتماعية والآداب واللغات، ويتم احتضانهم من طرف مؤسسات بحثية واعدة وطموحة للارتقاء في سلم الحضارة العالمية... ولذلك فإن التعجيل بسن قوانين تتضمن إنشاء مؤسسات بحثية بالمدن الجامعية، مثل "دار الإنسان" La maison de l'Homme سياسة رشيدة في تعزيز أركان مجتمع المعرفة بالجزائر : تفيد الأنظمة المعمول بها في الجامعات العريقة أن دار الإنسان يتوفر فيها مئات الباحثين من ذوى الاختصاصات المختلفة والمتكاملة فيما بينها.

– وضع خطة علمية محكمة ومضبوطة لتأمين مسار العمل النقدي الانتروبولوجي: يشترط وضع استراتيجية علمية رصينة للاستفادة من المناهج والنظريات الغربية، استفادة فعلية تحفظ ثقافتنا وهويتنا والقيم الإنسانية المشتركة وتحمينا من الوقوع في مطبات الاستلاب والتبعية خصوصا إذا علمنا أن الانتروبولوجيا الكلاسيكية تعتبر معارف الأغيار وتخفي في مضامينها أبعادا إيديولوجية لا يمكن إنكارها... وفي هذا

الإطار نثمن الخطة التي وضعها "محمد عابد الجابري" لدراسة التراث العربي في كتابه (نحن والتراث)... وهي خطة تتكون من مرحلتين رئيستين[28].

تقوم أولاهما على مبدأ فصل الذات عن الموضوع أو ما أسماه الجابري "بخطوة فصل المقروء عن القارئ، وهي خطوة تقوم على فهم المنهج النقدي الغربي تم تفسيريه بنيويا، أما المرحلة الثانية في هذه الخطة تقوم على ما أسماه "الجابري" بوصل القارئ بالمقروء" وتستهدف إعادة ربط الذات القارئة بالمنهج المقروء من جديد لكن بشروط علمية جديدة ملائمة لخصوصيات الذات القارئة منها لمواصفات المنهج المقروء[29].

إن التأصيل في حقيقته ليس معطي جاهزا ولا ميزة خاصة بثقافة معينة أو مرحلة تاريخية معينة بقدر ما هو رؤية عميقة تقوم على دراسة للتراث النقدي الغربي المستورد[30]. والتأصيل بهذا المعنى يشكل شرطا أساسا لتأهيل الانتروبولوجيا حذاتيا ومعرفيا... وهي الانتروبولوجيا التي تقوم على النقد والإبداع وإعادة إنتاج المعرفة.

ج- استقلال الاختصاص :

إن الانتروبولوجياوإن كانت تعد عامل معرفي للعلوم الأخرى، فلا زالت تواجه تأثيرات الغبن الذي سلط عليها: تبعية تاريخية، تبعية لعلم الاجتماع، تجاهل لدورها المعرفي... إلخ. إن المشكلة اليوم هي بالأحرى من داخل منظومة التكوين في الجامعة الجزائرية، وناجمة عن التأخر في إدماج الانتروبولوجيا في الديناميكية الشاملة التي تعزز فعليا التنمية المعرفية والإنسانية... وعليه فإن القضية الأساسية تكمن في ضرورة استقلال الانتروبولوجيا واسترجاع المكانة اللائقة بها (ولما لا الصدارة) ضمن مختلف الفروع التي تشكل العلوم الاجتماعية والإنسانية... تلك هي الرسالة التي نتمسك بها في هذا الوقت الذي نتطلع فيه إلى تجديد المعرفة ومواكبة آليات التطور العلمي والتكنولوجي في معالجة القضايا الراهنة... ولقد أثبتت الانتروبولوجيا بما فيه الكفاية لا على قدرتها على تشخيص الواقع تشخيصا عميقا ومتكاملا بل أيضا قدرتها على الوصول إلى نتائج ملموسة تراعي عنصرا المستقبل ومتغيرات وأحداثه.

إذن فالاعتراف بأهمية هذا العلم وأخصيته في الجامعة الجزائرية في الواقع عامل ثراء ومسلك معرفي كفيل بـ :

– ترقية مكانة الانتروبولوجيا في الجزائر.

– تأصيل منهج النقد في الخطاب الانتروبولوجي المعاصر... ولعل الانتروبولوجية النقدية تكون بداية مرحلة جديدة في "نقد الفكر المتخلف" وفق رأي "محمد الجابري".

– تحويل هشاشة الانتروبولوجيا إلى قوة فعلية كفيلة باجتثات التصورات النمطية التي لحقت ب الانتروبولوجيا التقليدية.

– إشعاع القيم الدافعة للتقدم المعرفي والانفتاح على الآخر تأثرا وتأثيرا أخدا وعطاء من منطلق استكمال مسيرة العلم والمعرفة.

– اعتماد منهج "التصحيح الذاتي للعلم" وهو منهج قويم يتوخى :

- تصحيح الأخطاء المترتبة : عن ملاحظة الواقع ورصد في تفسير ما تمت ملاحظته وفي الجمع بين النظري والتطبيقي... إلخ.
- إعادة النظر في العديد من القضايا والمسائل المستجدة والتي تستوجب رؤية معاصرة وتقديم بدائل تتماشى ومتغيرات العصر والمستقبل، خاصة وأن الانتروبولوجية التقليدية لم تراع تحليلاتها عنصر المستقبل وأحداثه ومتغيراته.
- إعداد وتقديم دراسات وأبحاث مثيرة للجدل العلمي.
- إعادة تنظيم ما هو موجود (خاصة المذكرات وأطروحات الدكتوراه التي تمت مناقشتها بقسم الثقافة الشعبية –تلمسان) بإحداث نوع من القطيعة مع الممارسات القديمة، وفق مناهج علمية جديدة، قائمة على نظرة جديدة تتماشى والروح العصرية الجديدة مما يفسح المجال نحو التجديد الأبستيمولوجي للفكر الجزائري القادر على إنتاج العلم والمعرفة.

خاتمة :

إن مصدر اليأس الذي يلاحق اللانتروبولوجيا يكمن في البحث الانتروبولوجي الذي يظهر مفككا ومجزأ بسبب انفصامه عن "الذات" والظروف التي تنظم عملية التواصل والتفاعل بين "الذات" و"الآخر" وهذا النوع من البحوث الانتروبولوجية يكون مصيره الرفض مما يؤدي إلى تقوية شوكة الشك والريبة في المعرفة الانتروبولوجية.

إن هذه الشوكة كانت ولا تزال تعتبر من أبرز العوائق التي زجت بالانتروبولوجيا إلى معتقل الهشاشة مما جعلها تفقد قوتها وأصبح الخطاب الانتروبولوجي المعاصر مهددا يواجه تداعيات تلك الأزمة والدليل على ذلك :

- الاهتمام بنقل الاتجاهات النظرية نقلا حرفيا وتطبيقها على واقع يختلف كل الإختلاف عن موطن نشأتها ولذلك تأتي النتائج معاكسة لكل التوقعات...
- بقاء الباحث الانتروبولوجي ضمن الأطر التقليدية دون أي محاولة للتجديد الذي من شأنه أن يسهم في تعميق الفهم للأوضاع الاجتماعية والثقافية والتاريخية... ماضيا وحاضرا.
- الاختيار بين الاتجاهات النظرية لا يستند لأي أساس علمي ومعرفي وهو اختيار الفاقد لفلسفة ومنطق النظرية العلمية غير المؤهل نظريا ومنهجيا في المعرفة الانتروبولوجيا.
- ضعف الاهتمام بقطاعات دراسية عديدة في ساحة الدراسات العلمية الجادة، فمثلا لا توجد إسهامات علمية جادة في مجال الانتروبولوجيا التطبيقية بالمجتمع الجزائري.

ومهما بدت الدراسات الأنتروبولوجية الغربية للمجتمعات العربية والإفريقية والمسلمة هشة ومتجاوزة معرفيا بحكم التطور الابستيمولوجي للعلوم الاجتماعية، فإن هذه الدراسات تشكل المصدر الأساسي في إرساء قواعد البحث الانتروبولوجي والمرجعية الهامة التي لا غنى عنها في إعادة تأسيس المشروع الانتروبولوجي لهذه المجتمعات ومنها الجزائر، وفق متغيرات العصر وبمنظور استشرافي.

وهكذا تبقى الحاجة ماسة لا أكثر من جهد لإعادة بناء المشروع الانتروبولوجي في الجزائر وبعثه وفق أطر جديدة تتماشى ومتغيرات العصر وتراعي المستقبل وأحداثه... ويبدو أن الوقت قد حان للاعتراف باستقلالية الانتروبولوجيا ومكانتها الحضارية في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة وأن الجامعة الجزائرية قد انخرطت في تدريس هذا العلم بمختلف الكليات... واعتقد أن من واجب الباحثين الذين يشتغلون في حقل الانتروبولوجيا القيام بدراسات واسعة ومعمقة عن المجتمع الجزائري... ومن شأن هذه الدراسات أن تقدم بديلا علميا رصينا ينبثق من التراث الجزائري العريق وخصوصيته الحضارية، ويكون قادرا على تفسير المجتمع الجزائري ومقبولا كونه يمثل ثقافة الجزائريين أنفسهم مما سيسمح بظهور تطورات معرفية في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ومما لاشك فيه أن النتائج ستكون مثيرة للجدل العلمي لو يتم تجسيد هذا المنحى وسوف يظهر لنا أنه بالإمكان التعرف على نماذج دراسات حضارية ومثالية منها :

– الجزائر في صورتها المشرفة والمشرقة إبان الثورة التحريرية (قيم التضامن، ثقافة الجهاد، الزواج، العلاقات والروابط الاجتماعية، ثقافة قضاء الأوقات والترفيه عن النفس لدى المجاهدين، الزيارات العائلية والأحاديث عن الثورة والاستقلال... إلخ).

– الجزائر في عهد ثقافة المؤسسات الاشتراكية.

– الجزائر في عهد الانفتاح الاقتصادي ومواجهة الأزمة المالية العالمية.

– الجزائر في ظل التعددية السياسية ومواجهة تداعيات المأساة الوطنية.

–الجزائر في عهد الإصلاحات وإرساء دعائم المصالحة (مع "الذات" ومع "الآخر") وقيم التضامن الاجتماعي الأصيل.

– الجزائر وتعميق ثقافة السلم والمصالحة من أجل دولة القانون والمؤسسات والديمقراطية التشاركية.

وفي الأخير لابد من العمل والمثابرة ليصبح الجيل الجديد من الانتربولوجيين من أقوى قوى التقييم والمراجعة للتراث الانتروبولوجي المكتوب عن المجتمع الجزائري والمجتمعات المغاربية والإفريقية والعربية.

المراجع والهوامش:

[1]- ساري حنفي(2016). دفاعا عن الالنتروبولوجيا. جريدة العربي الجديد.

https : //google.yidj71. www.anthropos.com

[2]- منصور زويد المطيري (1413 ه) : الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع – الدواعي والإمكان – ط 1. قطر. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1413. 138.

[3]- أسد محمد (ب.ت) : الطريق إلى الإسلام. ترجمة عفيف البعلبكي. بيروت. دار العلم للملايين. 17 -18.

[4]- كون (ب.ت): القافلة ترجمة إحسان عباس. بيروت. المكتبة الاهلية. 15- 16.

[5]- Michel Meeker (1979), literature and Violence in modan arabic. Cambridge, cambridge lmiversity fress. 15- 52.

[6]- أبو بكر أحمد باقادر (2004) الرؤية المتبادلة بين الإسلام والغرب من زاوية إفاسية. ضمن كتاب الإسلام والأنتروبولوجيا. ط 1. بيروت. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. 57- 82.

[7]- فرانز فانون (1981) : معذبوا الأرض. ترجمة سامي الدروبي وجمال الأناسي. بيروت. دار الطليعة. ط (4). 178- 187.

[8]- أبو بكر أحمد باقادر (2004). مرجع سابق. 63.

[9]- Rustow (1975), ecohomic Growth, cambridge university Fress. 37.

[10]- ليفي بروهل (1968) : العقل البدائي. صيد. المكتبة الأهلية.

[11]- أبو بكر أحمد باقادر (2004). مرجع سبق ذكره. 68.

[12]- كيفين دواير (ب.ت) : التفكك والتجزؤ : نقد الانتروبولوجيا ضمن كتاب : جوارات مغربية. ترجمة محمد نجمي الروادني. محمد جبيدة. كلية الاداب. الرباط. 393- 394.

[13]- كيفين دواير (ب.ت). مرجع سبق ذكره. 415.

[14]- Robat Fernea, james malarkey (1974), Anthropology of the middle east and north africa, Acritical Assessment, Anual Review of Anthropology, 198- 200

[15]- أبو بكر أحمد باقادر (2004). مرجع سبق ذكره. 13.

[16]- أكبر. س أحمد (1990) : نحو علم الإنسان الإسلامي. تعريف نظريات واتجاهات. ترجمة عبد الغني خلف الله. ط 1. واشنطن. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 17- 54.

[17]- عبد الغني منديب (2006) : الدين والمجتمع – دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب. مؤسسة إفريقيا الشرق، المغرب. 50.

[18]- العروي عبد الله (1988) : الإيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني. ط 1. بيروت. دار الحقيقة. 15.

[19]- أركون محمد (1992) : الفكر الإسلامي. نقد واجتهاد. ترجمة هاشم صالح. ط 2. بيروت. دار الساقي. 243.

[20]- عبد الله شريط (1982): التصادم بين التقادم والتخلف أو المشكلة المزيفة. مجلة الثقافة والثورة. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. 5- 24.

[21]- كيفين دواير (ب.ت). مرجع سبق ذكره. 402- 496.

[22]- عبد العالي بوطيب (1998) : إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي. عالم الفكر. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب المجلد 27(1). 9 -23.

[23]- الطاهر وعزيز (1986) : مقدمة كتاب. المنهجية في الآداب والعلوم الإسلامية. ط 2. المغرب. دار توبقال. 6 -7 .

[24]-أبو بكر أحمد باقادر. مرجع سبق ذكره. 184.

[25]-أبو بكر أحمد باقادر. مرجع سبق ذكره. 185- 188.

[26]- صلاح فصل (1980) : النظرية البنائية في النقد الأدبي. ط 2 الاسكندرية. مكتبة الأنجو المصرية. 14.

[27]- العيد يمني (1983) : في معرفة النص، ط 1 بيروت. منشورات دار الآفات الجديدة. 20 -38.

[28]- محمد عابد الجابري (1989) : إشكالية الفكر العربي المعاصر. الدار البيضاء. المؤسسة العامة للنشر والتوزيع. 25- 86.

[29]- عبد العالي بوطيب (1998). مرجع سبق ذكره. 18- 19.

[30]- عبد العالي بوطيب (1998). مرجع سبق ذكره. 17